e-Şarkiyat İlmi Araştırmalar Dergisi/Journal of Oriental Scientific Research (JOSR)
ISSN:1308-9633
Ağustos-2019 Cilt:11 Sayı:2 (24) / August-2019 Volume:11 Issue:2 (24) Sayfa:480-499

أدب الرحلة في شبه القارة الهندية

Mahmoud Mohammad Naassan*

الملخص

يحتل أدب الرحلة في شبه القارة الهندية مكانة عالية لدى الأدباء وكتاباتهم النثرية، وفنونهم الأدبية، فالرحالون قاموا بتدوين مشاهداتهم وأخبارهم، ووصفوا أسفارهم وتجاربهم وسردوا الوقائع التاريخية والجغرافية، والسياسية والاجتماعية، والدينية والاقتصادية ونحوها، والقارئ لمدوناتهم يجد من الأخبار والأوصاف والوثائق المهمة ما لا يجده في كتب التاريخ والسير، وكانت بعض المؤلفات في أدب الرحلة يتغلب عليها الطابع الأدبي، وتزخر بالعناصر الفارسية حيث بدأت الكتابة بها في تلك البلاد لكونها لغة الدولة وثقافتها، وبعضها الآخر تطغى عليها الكتابة عن الأماكن المقدسة، وزيارة النبي المصطفى – ﷺ – وأداء فريضة الحج بالعربية ما جعل تلك المؤلفات في أدب الرحلة متنوعة الفائدة، متباينة الغايات، مختلفة الأغراض في ميادين الأدب العربي وفنه النثري.

الكلمات المفتاحية : أدب الرحلة – الرحالون ـ وصف الأماكن ـ كتب الرحلات ـ شبه القارة الهندية .

HİNDİSTAN ALT KITASINDA SEYAHAT EDEBİYATI

Öz

Seyahat edebiyatı Hindistan alt kıtasında edebiyatçılar arasında, onların yazılı yayınlarında ve edebi ilimlerde yüksek bir yer işgal etmektedir. Seyahatçiler elde ettikleri bilgileri ve gözlemlerini yazıya geçirerek yolculuklarını ve yaşadıkları tecrübeleri tarihi, coğrafi, siyasi, sosyal, dini, iktisadi vb. olayları tek tek anlatmışlar. Böylece okuyucu tarih ve siyer kitaplarında bulamadığı haberleri, özellikleri ve önemli belgeleri bu şeklide bulma imkânı elde etmiştir. Seyahat edebiyatı ile ilgili kaleme alınan bazı teliflerde edebi karakter baskındır ve Farsça unsurlarla doludur. Çünkü bu ülkenin dili ve kültürü Farsça olduğu için yazım faaliyetleri de bu dilde başlamıştır. Diğer bazı teliflerde, mukaddes mekânlar, Hz. Peygamber (s.a.v)'in ziyareti ve Hac farizasının edası konusundaki yazımlarda ise Arapça baskın olmuştur. Öyle ki, seyahat edebiyatı ile ilgili telif edilen eserler, Arap edebiyatı ve nesir sanatı alanlarında çeşitli faydalara, farklı gayelere ve değişik amaçlara sahip olmuşlardır.

Anahtar Sözcükler: Seyahat, seyahatçı, olayların yazıya geçirilmesi, mekânların özellikleri, seyahatnameler, Hint alt kıtası

Article Types/Makale Türü: Research Article/Araştırma Makalesi
Received/Makale Geliş Tarihi:31/05/2019, Accepted/Kabul Tarihi: 01/09/2019
Doi: 10.26791/sarkiat.572545
*Dr. Öğr. Üyesi, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Arap Dili ve Belagatı Anabilim Dalı, mahmoud.naassan@gmail.com
ORCID ID: https://orcid.org/0000-0002-0568-0776

THE LITERATURE OF THE JOURNEY IN THE INDIAN SUBCONTINENT

Abstract

The literature of the journey in the Indian subcontinent occupies a high place among the writers and literary prose, and their literary arts, the travelers wrote down their views and stories, described their travels and experiences, and narrated the historical, geographic, political, social, religious, economic and other facts. By this the reader can find news, descriptions, and important documents which he cannot find in history and biography books,and some of the literary works in literature of the journey overcome by the literary character, and abounds with the Persian elements, where the writing began in that country because it is the language of the state and culture, and others are dominated by writing about the holy places, and the visit of the Prophet Mustafa - peace be upon him – and the performance of Hajj in Arabic language which made the literature in the literature of the trip with varied interest, different purposes, different purposes in the fields of Arabic literature and art of prose.

Keywords: journey, travellers, facts recording, places descriptions, journeys books, Indian subcontinent

المقدمة

جاب رحالو شبه القارة الهندية دولاً عدة، وأقاليم ومدناً مختلفة داخل حدودها الجغرافية وخارجها، وقاموا خلال رحلاتهم بتسجيل ملاحظاتهم ومشاهداتهم، وتوثيق معلوماتهم وأخبارهم عن مواقع المدن الكبرى، والآثار القديمة، والتضاريس الجغرافية، والظواهر الطبيعية، وطرق المواصلات، وقياس المسافات فيما بينها، كما أنهم تكلموا على الأحوال السياسية والاقتصادية والثقافية، والدينية، والاجتماعية، ودونوا في رحلاتهم الآثار المترتبة على تلك الحالات كلها، وتأثيرها في المجتمعات البشرية وطبقاتها الاجتماعية.

وهكذا اشتهر الرحالة في تلك البلاد بحب الرحلة، وعشق الأسفار، واكتشاف المجهول، وتوضيح الغموض طمعا في اكتساب المزيد من المعارف الجديدة، واستمتاعاً بالفنون العلمية والأدبية، وحباً للاستطلاع، والوقوف على حقائق الأمور، وذلك بطريقة المشاهدة والتجربة وملامسة الحقائق والظواهر، والتعامل مع أخبارها بالعين الباصرة والمشاهدة الحية، وبذلك ظلت رحلات المسلمين ومصنفاتهم فيها خلال مختلف العصور الإسلامية مصدراً هاماً من مصادر علم الجغرافية والتاريخ والتراث الأدبي والثقافي، وتعد تلك النشاطات العلمية التي قام بها العلماء الرحالون من أهم ما أنجزته الرحلة الهندية الإسلامية على الصعيد الفكري، ومن أبرز ما قدمته إلى الحضارة الإنسانية والنهضة البحث عن مصادر المعرفة ومواطن الجغرافية البشرية، وبهدف اغناءالأدب العربي بالمعلومات الجغرافية الوصفية والسكانية، والوثائق التاريخية، وبيان المسالك وطرق القوافل البرية والبحرية بين موانئ مدن الإسلام ودُوله مترامية الأطراف.

وبهذا الجهد المبذول والنشاط الملحوظ من قبل العلماء والأدباء استطاع أدب الرحلات أن يحتل مكانة عالية وحفاوة طيبة من القراء والباحثين، ويحظى بالقبول في الأوساط الأدبية ولا سيما إن امتلك الرحالة أسلوباً أدبياً في الكتابة، وذوقاً رفيعاً في العرض.

مفهوم أدب الرحلة ودلالته

قبل الحديث عن مفهوم أدب الرحلة ودلالته بمعناه الاصطلاحي نتعرض لشيء من البيان والتوضيح عن معنى الرحلة اللغوي ومفهومها، فنقول: الرِّحْلَةُ في اللغة: اسم من: رَحَلَ يَرْحَلُ رَحلاً ورحيلاً وتِرْحالاً: ذهب ومضى، ويقال: ارتحلَ البعيرُ رَحْلَهُ: سار، وترحَّل، والترحُّلُ والارتحالُ: الانتقال، وهو الرِّحْلةُ، وقد جرى ذلك في الكلام حتى قيل: اِرتحلَ القومُ عن المكان ارتحالاً: إذا انتقلوا، كترحَّلُوا، ويقال: رَحَلَ عن البلد رحيلاً، ورحَّلْتهُ، ورَحَّله من بلده: أخرجه منها، والرَّاحِلةُ: الناقة الصالحة للركوب، والرحّلُ مركب البعير، والرَّحَلُ أيضاً ما يستصحبه المسافر من الأوعية، وجمعه رِحَالٌ، ورَحَلَ البعير رحلاً: جعل عليه الرَّحَلَ فهو مرحول ورحيل[1].

وبهذه الدلالة اللغوية وعرضها البياني نستوضح بأن مادة الرحلة تفيد الانتقال من مكان إلى مكان آخر، وتدور حول محور واحدٍ هو الحركة والانتقال، وهي مشتقة من الارتحال- الذي هو الانتقال- لتحقيق هدف معين، سواء أكان ذلك الهدف مادياً أو معنوياً، مباشراً أو غيره.

وأما في الاصطلاح: فقد تعددت حدود أدب الرحلة الاصطلاحية لدى الباحثين والمهتمين، واختلفت وجهات نظرهم فيها، وكثر الحديث في التعريف بهذا الفن مما يدل على أن الوقوف عند حد جامع ودقيق له أمر قد يصعب فهمه، ويعسر تحديده عند أصحاب الحدود والمصطلحات التي صاغها الأدباء والباحثون في هذا الصدد، ولعل هذه النظرة هي التي دفعت ببعضهم كشعيب حلقي إلى القول: بأن وضع تعريف بذلك صعب نظراً لاعتبارات عديدة تعود إلى أدب الرحلة، ويفسر ذلك بقوله: ((وتأتي صعوبة تحديد وصياغة مفهوم للرحلة من عدة اعتبارات أساسية منها: غياب تعاريف دقيقة، وجود نصوص رحلية كثيرة ثرية ومتنوعة، وانفتاح النص الرحلي على عناصر أخرى متحركة تحضر أو تختفي بدرجات متفاوتة بين النصوص))[2] , وعلى الرغم من صعوبة تعريف جامع لأدب الرحلة كما صوره شعيب حلقي وغيره من الباحثين غير أنه لا بأس أن نقف على بعض التعاريف واستعراضها وتوضيحها للقارئ عسى أن نخلص من ورائها إلى تعريف يقرب للقارئ الفهم، وييسر له الأمر.

وكان من تلك التعريفات المتعددة الواردة في الموضوع ما صرح به مجدي وهبة قائلا إن أدب الرحلة هو : ((مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آنٍ واحدٍ)) [3].

---

1. ينظر : لسان العرب/ لابن منظور، محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت- ط ٣ .- ١٤١٤هـ 279/11 ، مادة (رحل)
2. مفهوم أدب الرحلة، مقالة أعدت بواسطة الطيب، ونشرت في موقع مدونة الفكر الحر بالشبكة العنكبوتية بتاريخ ٢٨/ مايو/ ٢٠١٣م، . File:/// c:users/ wn7Deshtop/ .
3. الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري/ لناصر عبد الرزاق الموافي، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء ، القاهرة .- ط1 . . 1415هـ. 1995م، ص 38.

كما عرَّف أنجل بطرس أدب الرحلات بقوله هو: ((ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفا له، يسجل فيه مشاهداته، وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب، والقدرة على التعبير))[4].

وفي هذا الصدد يذهب مُحَّد الحاتمي إلى تعريف آخر فيراه شاملا على حد تعبيره فقال: ((الرحلة خطاب تنشئه ذات مركزية، هي ذات الرحلة، تحكي فيه أحداث سفر عاشته وتصف الأماكن المزورة، والأشخاص الذين لقيتهم، وما جرى معهم من حديث، وغايتها من هذا الحكي إفادة القارئ، وإمتاعه))[5].

ولناصر الموافي مساهمة أيضا في تعريف أدب الرحلة؛ حيث أدلى بدلوه في الموضوع قائلا: ((ذلك النثر الذي يصف رحلة أو رحلات واقعية قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مرئين بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه))[6] .

وبعد استعراض هذه الحدود لأدب الرحلة وسردها في ميادين البحث، وتدقيق النظر في جوانبها ومحترزاتها لوحظ فيها تعددت مفاهيم أدب الرحلات التي ساقها الباحثون والمهتمون بشأنها، وكثر إيراد حدودها مما يجعل هذه المسألة قائمة بسبب عدم وجود تعريف دقيق وشامل لهذا الفن الأدبي يؤطّر حدوده، ويحدد مفاهيمه , وبذلك يتضح أن أدب الرحلة بمعناه الأدبي هو نثر فني أدبي تنشئه ذات مركزية فيصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلته التي قام بها إلى أحد البلدان، أو المدن الكثيرة، ويجمعها في أحداث ومشاهد ويسردها بالتدوين والكتابة ، فيسمى ذلك في عرف الأدباء بـ : ((أدب الرحلة)) .

نشأة أدب الرحلة في شبه القارة الهندية وتطوره

لقد شهدت بلاد الهند و السِّنْد[7] ، منذ وصول الإسلام إليهما رحلات عديدة من قبل الفاتحين المسلمين، والعلماء المهاجرين، والأدباء اللغويين، والرحالين الجغرافيين، وكانت العناية بالرحلة عظيمة في سائر العصور فيما بعد، و المشاركة في

---

4. الرحلات في الأدب الإنكليزي، مقالة أعدها إنجيل بطرس ونشرها في مجلة الهلال، العدد ٧، السنة ٨٣،عام ١٩٧٥م، شهر يوليو ، ص 52.

5. مفهوم أدب الرحلة، مقالة أعدت بواسطة الطيب، ونشرت في موقع مدونة الفكر الحر بالشبكة العنكبوتية بتاريخ ٢٨/ مايو/ ٢٠١٣م، . ./ c:users/ wn7Deshtop/File:///

6. الرحلة في الأدب العربي للموافي ص 41 .

7. بالسين المشددة المكسورة والنون الساكنة ، وهي إقليم من أقاليم باكستان الآن ، وفي الماضي كانت مقاطعة من الهند في ولاية بمبئ يحدها شمالاً بلوجستان وبنجاب ، وشرقاً بلاد راجيوتانه ، وجنوباً الأوقيانوس الهندي ، وغرباً الأوقيانوس الهند وبلوجستان ، وقاعدة بلادها كراتجي . وقيل : إنها ممتدة إلى أرض أفغانستان حتى نهر ((هلمند)) .

وكان العرب في القديم يطلقون اسم السند على كل منطقة واقعة في غربي نهر السند بما فيه البنجاب الجنوبية ومقاطعة بلوجستان ، ويطلقون على البلاد الفسيحة العريقة الواقعة في شرقيها اسم الهند ، كما أشار إليه الدكتور مُحَّد إرشاد في كتابه : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة والتاريخ والتراجم بالعربية (دراسة نقدية وتحليلة) ، جامعة بنجاب . لاهور ، الكلية الشرقية ، باكستان ، 2006 م ، (رسالة دكتوراه ، غير منشورة) ، ص 127.

ومما يذكر هنا أن كثيراً من المؤرخين والمثقفين يعدّون مقاطعة السند مدخلاً لدخول الإسلام إلى شبه القارة الهندية وانتشاره فيه لأول مرة ، وهذا يخالف الحقائق التاريخية حسبما ورد في كتبها ، إذ تقول كتب التاريخ القديمة بأن منطقة بلوجستان المعروفة آنذاك باسم (مَكْران) قد

الكتابة عنها قائمة؛ حيث قام هؤلاء الرحّالون بتدوين خواطرهم عن أسفرهم إلى الأماكن المقدسة وغيرها، ووثقوا مشاهدهم، وصوروا الكثير من العادات والتقاليد السائدة في المجتمعات الهندية والعربية، وأشاروا إلى الآثار القديمة والمدن العتيقة، والمراكز العلمية، كما تحدثوا عن البلدان ومواضعها والمسافات الفاصلة فيما بينها، والطرق والمسالك التي يسلكها المسافرون، وغير ذلك مما شاهدوه من الوقائع أثناء رحلاتهم إلا أنهم سطروا هذه المعلومات والوثائق والمشاهدات في البداية باللغة الفارسية التي كانت لغة الثقافة والفكر، واللغة والأدب، ثم تحول بعضهم إلى كتابة الرحلة باللغة العربية , واهتموا بها ورغبوا فيها لكونها لغة الدين والثقافة الإسلامية وعلومها المتنوعة.

وكان أول من قام بالرحلة إلى خارج شبه القارة الهندية وكتبها بالفارسية الشاعر الفارسي ناصر خسرو في كتابه: ((سفر نامه)) [8] وهي رحلة تقع حوادثها ما بين سنة / ٤٣٧– ٤٤٤ هـ/، وتلك الرحلة ترجمها الدكتور يحي الخشاب فيما بعد، ونشرها للمرة الأولى في القاهرة عام/ ١٩٤٣ م/.

ثم ازدهر هذا النوع من النثر الأدبي المسمى بأدب الرحلة على أيدي طائفة من الرحالين في شبه القارة الهندية، وظلوا يكتبون بالفارسية ، وكان ممن أسهم في هذا الجانب الشيخ جلال الدين حسين بن أحمد الحسيني البخاري الآجي (ت ٧٨٥ هـ) في رحلته بعنوان: ((مسافر نامه)) ،وهو الذي ساح في ربع الأرض المسكون كما قال عبد الحي الحسني[9].

وفي القرن العاشر الهجري تجلّى نشاط عالم لغوي آخر ومحدث كبير , وهو الشيخ عبد الحق العالم الجليل، محدث الدهلوي، فقام بكتابة رحلة سمّاها : ((جذب القلوب إلى ديار المحبوب)) عن زيارته للأماكن المقدسة سنة /٩٩٧ هـ . ١٥٨٩م/، وهي أول رحلة كتبت داخل شبه القارة الهندية بعد رجوع صاحبها من أرض الحجاز .كما قال مترجم الرحلة الهندية الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم[10]– بالفارسية أيضاً. وهذا ولم ينته القرن الحادي عشر الهجري حتى ظهر عالم آخر في هذا الميدان هو ابن معصوم (ت 1052 هـ) وكتب كتابه المسمى: (سلوة الغريب وأسوة اللبيب) بالعربية .

وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين تطورت الرحلات، وتوسعت العناية بها، وكثرت المصنفات فيها، وشُدَّ الرحال إليها من قبل العلماء اللغويين، والأدباء الجغرافيين، فقاموا بنقل كل ما عاشوه، وعاصروه ولاحظوه من أحداث

تم فتحها قبل فتح السند بزمنٍ ،وكان سلطان المسلمين قد ستقر فيها قبل أن يتم فتح الدّيْبُل وغيرها من مدن السِّنْد ، وكان يعين عليها الولاة من قبل الخلفاء الأمويين ولا يخفى هذا على كل قارئ للتاريخ ومطلع على رواياته.

وللوقوف على المسألة ينظر : إسهامات علماء شبه القارة في آداب السيرة ص127، وأبي المعالي أطهر المباركبوري ، العقد الثمين في فتوح الهند ومَنْ ورد فيها من الصحابة والتابعين ، دار الأنصار ،[القاهرة] ، . . د ط . . 1977 م ، ص 45 وما بعدها ، ومعين الدين الندوي ، معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن [الهند] . . د ط . . 1353 هـ ، ص 33 ، ومُحَّد عارف نسيم ،مقامات ويلورية لمحمد باقر المدراسي ، تحقيق ودراسة ، جامعة بشاور ، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية . باكستان 1420 هـ . 1999 م ، (رسالة دكتوراه ، غير منشورة) مقدمة المحقق ، ص 15 الهامش1 .

8. ينظر : مقدمة سفر نامه/ لناصر خسرو علوي، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) .– ط ٢. – ١٩٩٣م ، ص 8 ، ومقدمة الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية / لرفيع الدين المراد آبادي، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة . – ط١ .– ٢٠٠٤هـ ، ص5.

9. ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند/ معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف/ للسيد عبد الحي الحسني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر .– د ط ٢٠١٢م ، ص 76.

10. ينظر : الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية ص5، ومقدمة المترجم

ومشاهد، وتراجم وسير، وحضارة وفكر، ومدن وطبيعة ، ودوّنوه في بطون كتب الرحلات فاعتبرت فيما بعد وثائق لا يُستغنى عنها في التراث الفكري اللغوي ومصادر مهمة في الأدب العربي وكتابته النثرية.

وفي القرن الرابع عشر الهجري كتب الرحالون رحلاتهم العلمية باللغات الثلاث العربية والفارسية والأردية في موضوعات عديدة ، وبأساليب مختلفة اتسمت بسعة الأفق، وغزارة المادة، وبسط الفكر، وحسن الإحاطة مما يضيف إلى الأدب العربي ورصيده الفكري ثروة غنية، ومادة زاخرة، وإلى مكتبته العلمية وتاريخه الثقافي مصادر هامة، ووثائق حية ينتفع بها الباحثون والدارسون في العالم العربي والإسلامي عامة، وفي شبه القارة الهندية خاصة[11].

دوافع الرحلة في شبه القارة الهندية وأسبابها

كان للرحلة في شبه القارة الهندية دوافع متعددة، وأهداف متنوعة حملت الرحالين إلى القيام برحلات إلى أماكن كثيرة في العالم العربي والإسلامي، وكانت تلك الرحلات تختلف فيما بينها باختلاف الأشخاص والأقوام والعهود والمقاصد، وتتخذ أشكالا متغايرة بحسب الرغبات والطموحات التي يقصدها الرحّالون إلا أنها في الغالب لا تخرج عن أن تكون من الأمور التالية :

- دوافع دينية
- دوافع علمية وثقافية أو تعليمية
- دوافع اقتصادية ومالية أو تجارية
- دوافع سياسية

وهذه هي أهم الدوافع والأسباب التي اطلعنا عليها من خلال الدراسة التاريخية وتتبع مصادرها العلمية في أدب الرحلات بشبه القارة الهندية، وإليك تفاصيلها:-

١ - الدوافع الدينية:

وقد اتخذ هذا النوع أشكالا من الأقسام - وفق طلب الرحلة أو نية الرحالة- تجلت آثارها وتمثلت فروعها في الأغراض الآتية:

أ . الهجرة: وهي الخروج من بلد ما إلى آخر، فالرحالة لما يشعر بالعجز عن القيام بالشعائر الدينية ويجد صعوبة في تطبيق الشريعة وتبليغ الرسالة، ويدرك الاستبداد بالرأي، وطغيان الظلم، وغياب العدالة، والاستفراد بالحكم فحينئذ يتوجه إلى حيث ما فيه العمل بالشريعة الإسلامية، وسيادة الحكم بما أنزل الله، وهذا ما لوحظ لدى بعض العلماء الذين ارتحلوا إلى مناطق أخرى بشبه القارة استنكاراً لمواقف السلاطين، وفراراً بدينهم.

---

11. وللوقوف على نشأة الرحلة في شبه القارة الهندية ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص 76 ، والرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية ص5، مقدمة المترجم ، وسفر نامه لناصر خسرو ص 8. 9 مقدمة الكتاب ، المدينة المنورة في عيون أدباء شبه القارة الهندية، مقالة أعدها الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم , ص 1 وما بعدها ، ونشرها في موقع الشبكة العنكبوتية. /www.Ahbab-taiba.com / vb /showthread. Php?=15196

ب ـ التبليغ : وقد تكون الرحلة لتبليغ الدعوة إلى الله ونشر رسالته، وإرشاد الخلق إلى الحق وإعلان كلمة الصدق، والدعوة إلى الدين، والامتثال بأمر الرسول– ﷺ– والتمسك بسننه، كما كان الحال عند أصحاب الطرق الصوفية، وتزكية النفس، وتربية الروح والدعاة الصالحين ، والعلماء المرشدين بتلك البلاد.

ج ـ أداء فريضة الحج: وهي القيام بأداء فريضة الحج أو العمرة لمن استطاع إليه سبيلاً، أو لزيارة البني الكريم –صلى الله عليه وسلم– والأماكن المقدسة والتكحل بآثاره الطيبة، والتشرف برؤيته المشرفة، فهذا النوع من الرحلة التي قصدها الرحالون بغية العبادة والطاعة لله – عز وجل– وأداء فريضته المقدسة كان ينال منهم حظاً وافراً، وقسطاً كبيراً، فكل من يتصفح كتب علماء شبه القارة في أدب الرحلة وآثارهم الأدبية فيجد معظمها ينصب في هذا الاتجاه ويدور في فلكه، ولعل نظرة واحدة إلى مصنفاتهم في أدب الرحلات كفيلة بالبيان، وغنية عن الإسهاب ، ودليل على المدّعى.

د ـ الجهاد أو الرباط في سبيل الله: وأحيانا كانت الرحلة تتم للدفاع عن شعائر الله، ومقدساته الجليلة، وأحكامه المحكمة، وذلك بالسفر إلى ثغور الجيش وتخومها وأماكن المرابطة أمام كل من يعادي الدين الإسلامي، سواء أكانوا من البوذيين والهندوكيين أم الغزاة الطامعين المجاورين.

٢– الدوافع العلمية والثقافية أو التعليمية:

شاع هذا النوع في تلك البلاد بكثرة حيث ارتحل العلماء إلى بلدان مختلفة، وانتقلوا من مكان إلى آخر بقصد العلم وزيادة البحث والمطالعة، والاستطلاع على المزيد من العلوم والفنون، والاستكشاف للحقائق، والاستفادة من العلماء المبدعين، والدعاة المصلحين ، والحكماء المخلصين في أرجاء المعمورة على الصعيد الداخلي والخارجي؛ ولذلك أثمرت جهودهم في تصنيف كتب قيمة، وأفكار رائعة، ومسائل دقيقة في كافة العلوم العقلية والنقلية، وبلغات متعددة استطاعت بذلك قصب السبق في كثير من العلوم والفنون، وتخطت شهرتها حدود شبه القارة الهندية.

٣– الدوافع الاقتصادية والمالية أو التجارية:

وقد يكون الدافع أحيانا في هذا الموضوع هو التجارة وتبادل السلع واستهلاكها في منطقة أخرى، فمن الرحالين من سافروا إلى بلاد أخرى لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية أو غيرها تارة، أو لجلب سلع تتوافر في أماكن نائية تارة أخرى، ونتيجة لذلك كانوا يخالطون أهل تلك البلدان ويحتكون بهم ويتعلمون عاداتهم وينقلون أخبارهم، ويتعرفون على بيئاتهم وطقوسهم وأخلاقهم، وفي أثناء عودتهم إلى بلدانهم تتم حكاية التجربة والإقامة في الأماكن المرتحل إليها، ونقل أخبارها وتقاليدها وآثارها، ويعد ما كتبوه فيما بعد وما وثقوه ودونوه مرجعا مهما لأقوامهم ومثقفيهم في فهم البلدان التي زاروها، وبجهود أولئك الرحّالين والمؤرّخين وترحالهم ومدوناتهم في شبه القارة الهندية استطعنا أن نعلم الكثير من المعلومات المفيدة والمشاهد الرائعة، والآثار القديمة، وسنن الأرض العجيبة وجغرافيتها الواسعة.

٤– الدوافع السياسية:

وهذا النوع وجد أيضاً في تلك المناطق وكان يهدف إلى سياسة الحكم وتوطيد سلطته في سائر البلاد؛ ولذلك يقوم الرحالة في مهمة رسمية وكلت إليه من السلطان أو الوزير أو الوالي لغرض سياسي أو تفاوضي أو غيره ويبعث إلى حكام ودول أخرى لتقوية العلاقات فيما بينهم، وتحسين الظروف، وتبادل الرأي والخبرة ،أو الثقافة والمهنة وغيرها مما يتعلق

بالأمور السياسية أو العلمية أو التجارية أو الفنية أو غيرها، وهذا ما كان جاريا في شبه القارة الهندية عبر العصور الإسلامية المختلفة، وتاريخه الطويل، وتتم الرحلات بنوعيها الداخلي والخارجي .

وهذه أهم الدوافع التي توقفنا عليها في بطون الكتب العلمية، والمصادر المتوفرة لدينا، وثمة دوافع أخرى كالصحية والحربية والسخط على الأحوال، والهروب من العقوبة ونحوها، فآثرنا تركها بغية الاقتصار في المسألة[12].

موضوعات أدب الرحلة في شبه القارة الهندية

تنوعت موضوعات كتب الرحلات في شبه القارة الهندية، وتعددت مسائلها وفق رغبة المؤلف وطموحه في الرحلة التي توجه إليها، ويمكننا تلخيص تلك المسائل الكثيرة، والموضوعات المتشبعة في تنوعت موضوعات كتب الرحلات في شبه القارة الهندية، وتعددت مسائلها وفق رغبة المؤلف وطموحه في الرحلة التي توجه إليها، ويمكننا تلخيص تلك المسائل في النقاط الاتية :

١- تدوين الرحالين مشاهداتهم العينية في أسفارهم البحرية والبرية، وكتابة وقائعهم عبر رحلاتهم المختلفة في كل الأماكن التي زاروها، وارتحلوا إليها، وكشفوا أسرارها، ووقفوا على معالمها وآثارها.

٢- الحرص على كتابة تاريخ الرحلة ومدتها الزمنية، وضبطها بالأيام والشهور والأعوام غالباً.

٣- التعريف بالبلدان والمدن والأقاليم والقرى التي زارها الرحالون من شبه القارة، ووصفوها وصفا دقيقا لما شاهدوه من الصور الشائقة، والمناظر الغريبة، والأجواء البديعة لتلك الأماكن والمدن، سواء أكانت في داخل شبه القارة أم خارجه.

كما أنهم وصفوا الطرق العامة والخاصة والأزقة الضيقة التي كانت كائنة في تلك البلدان، ومحيطة بها وصفاً دقيقاً جعل القارئ على بصيرة مما يُنقل ويحكى من الوقائع والأخبار.

٤- ذكرهم العلماء والأدباء والصالحين والنقاد أثناء رحلاتهم، والمدارس العلمية، والآثار القديمة، وحلقات الدروس في المدارس، ومجالس العلم وأندية الأدب، وأثر النهضة الثقافية ودورها في توعية المجتمع وتثقيف الفكر، حيثما حلُّوا وأينما كانوا.

٥- كتابة الأحوال الاجتماعية التي تضمنت أوصافهم للبشر، وفئات المجتمع، وطبقاتهم الاجتماعية، وتوثيق أخبارهم وعاداتهم، وسنن حياتهم وطقوسهم، وطرق معاشهم اليومي في البيئة التي كان ينتمي إليها أولئك الأقوام والملل.

٦- وصف الحالة الاقتصادية في تلك الحقبة من الزمان ذاكرين الأسواق القديمة ، والعملات النقدية ،وتبادل السلع المحلية ،والتعامل بالبيع والشراء والكراء حتى الصناعة وفنونها وتطورها، وأشكالها.

٧- ذكر المقاييس والموازين والنقود ،كالميل، والدانق، والفرسخ، والذراع، والمثقال، والرطل، والدينارالمغربي وهو الذي كان رائجا وشائعا في المغرب العربي ، وفي مصر أيام الفاطميين ، كما جاء في سفرنامه ناصر خسرو وغيره .

---

[12]. وللوقوف على دوافع الرحلة والاستزادة منها بشكل عام ينظر : الرحلة وأدبها في اللغة العربية (دراسة تاريخية)ص 32 ، والرحلة في الأدب العربي للموافي ص 26 وما بعدها، وأدب الرحلة في التراث العربي/ لفؤاد قنديل ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة . . ط2 . . 1423هـ . 2002م، ص 19 وما بعدها.

٨- تضمن بعض كتب الرحلات معلومات جغرافية موجزة عن الهند وغيرها من الدول التي تنضوي تحت مظلة شبه القارة ، كوصف الرحالين والمؤلفين ميناء مكران ، واللحية ، وميناء مخا ،وتشيتابور، وراجيوت ،وبيجابور، وكلبرك ، وكولكنده، ونحوها ،كما جاء ذلك في رحلة ابن معصوم .

٩- التكلم عن الخضروات والفواكه الهندية ، مثل :جوز الهند ،والمانجو، والتانبول (الكمون) ،وقصب السكر، كما أنهم تحدثوا عن الحيوانات الهندية وطيورها، نحو: الببغاء ، والطاووس، والفيل، وغيره، وكذا أشاروا إلى خصائص معينة للبحار وعجائبه وركوبه والسفن، وإلى حيواناته المتنوعة والمختلفة، كالعنبر والأسماك الغريبة الواقعة في قاع البحر بشبه القارة الهندية، كان ممن تعرض إلى ذلك ابن معصوم في رحلته الشهيرة .

١٠- ذكر تاريخ ملوك الهند القدامى وديانات الهنود وشعاراتهم الدينية القديمة، ولبعض سلاطين الدولة المغولية، كما فعل ابن معصوم في رحلته السابقة، واعتمد في ذلك على مراجع مختلفة وخاصة كتاب المسعودي كما ذكره صاحب الرحلة السابق، وكان من بين الموضوعات التاريخية الهامة في المصدر المذكور ترجمة العلماء العرب الذين التحقوا ببلاط ملك كولكنده، وغيره ذلك من المسائل والموضوعات المتعلقة بالتاريخ الهندي.

١١- العناية بالجانب الأدبي ومراعاته في سياق الجمل وتكوين المفردات، فإن بعضاً من كتب الرحلات كان مملوءاً بالموضوعات الأدبية والأساليب اللغوية اللطيفة، حتى يمكن أن يصنف أساساً مع الكتب الأدبية لا مع كتب الجغرافية أو الرحلات، وكان من بين تلك الموضوعات مثلاً- كما أورده ابن معصوم- شكوى الزمان وكيف يهمل ويخاصم العلماء والأدباء، وكذا بكاء الأطلال، والقصة التي يجدها في الغربة، وإيراد الكثير من الأبيات الشعرية واللطائف العلمية عن المال والسمك والريح وغيره ، كما يذكر عن القهوة قصة مثيرة، ثم يعطي عدة تشبيهات للفيل وغير ذلك مما يزيد الرحلة جمالا، وأسلوبها أناقة، وقراءتها جذبا وشوقا، والاستطراد فيها روعة وانسجاما.

١٢- غلبة الجانب الديني على قضايا أخرى في بعض كتب الرحلات، كتفسير الآيات القرآنية، وشرح الأحاديث النبوية والقضايا الفقهية المتعلقة بالفروع والأحكام، كما يلاحظ هذا النوع في رحلة شاه ولي الله الدهلوي المسماة ((فيوض الحرمين)) ، وكذلك الإكثار من ذكر الأحكام الخاصة بالحج والعمرة ، وزيارة الرسول الكريم . ﷺ . والأماكن المقدسة، وفضائل مكة المكرمة والمدينة المنورة ومسائلها كما وجد ذلك عند صديق القنوجي في رحلته المسماة: رحلة الصديق إلى البيت العتيق.

١٣- اقتصار بعض الرحلات على وصف المدينة المنورة , وآثارها وحدودها ، والحديث عن جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية والتاريخية، التي نالت من اهتمام بعض الأدباء في شبه القارة الهندية الذين زاروا تلك البلاد المقدسة وعبروا عن مشاعرهم الجياشة بعباراتٍ مؤثرةٍ، وأبياتٍ رائعةٍ، وأساليبٍ قويةٍ، فأفردوا فيها كتباً، وبيضوا فيها صفحات أشادوا فيها بأهمية تلك المدينة التي تعيد إلى أذهانهم عصر الإسلام الأول، ومهبط الوحي الرباني المنزّل، وكان لمدينة الرسول . صلى الله عليه وسلم- من هذه المصنفات النصيب الأكبر، والحظ الأوفر في ميادين الأدب، وكتابة الرحلات [13].

[13]. وللمزيد من الموضوعات في كتب الرحلات والاطلاع عليها ينظر : رحلة الصديق إلى البيت العتيق/ لصديق حسن خان القنوجي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قطر . — ط ١ .- ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، ص 8 وما بعدها ، وسلوة الغريب وأسوة اللبيب = رحلة ابن معصوم المدني/ للسيد علي صدر الدين المدني، المعروف بابن معصوم؛ تحقيق: شاكر هادي شكر، الدار العربية للموسوعات ،بيروت. - ط١.-

خصائص أدب الرحلة الفنية في شبه القارة الهندية وأسلوبه الأدبي

١–الخصائص:

مما اتصف به أدب الرحلة في تلك البلاد، وازدهر به كتب الأدباء في الرحلات ما يلي:

أ . الصدق والأمانة في نقل الأخبار والمشاهد التي لاحظوها من المدن والقرى، والمدارس الدينية والآثار التاريخية، والمناظر والطبيعة، وروايتها وتدوينها كما هي في حقيقتها وجوهرها بكل إخلاص وصفاء، ومصداقية ونزاهة دون نافلة الأقوال ومجاملة العبارات .

ب . الموضوعية والحياد لكتابة الوقائع التاريخية، وتوثيق المشاهد التي عاصروها أو سمعوها بالدقة التامة، والحرص على النقل التام كما هو دون التحيز والتميز، أو الإفراط والتفريط، أو الإطراء والتنميق ما يجعل أدب رحلاتهم دقيقاً في التعبير، صادقاً في البيان، صافياً في نقل الوقائع.

ج . حب البحث والتمحيص، وجودة النقد والتحليل وصفاء السرد والتوضيح في دراساتهم للرحلات ونقلهم للأخبار، وتوثيقهم للمعلومات.

د . سعة الأفق، وعمق التفكير، وكثرة الموضوعات، وحسن العرض، وتنوع المادة فالقارئ لما يقف على تلك الرحلات ويقرأها بالتأني والتأمل يجد انسجاماً في الأفكار غالباً، وترابطاً في الجمل، وقوةً في البيان، وهذا ما يفتقر إليه بعض كتب الرحلات في ميادين الأدب العربي ودراسته الفنية وأعماله العلمية.

هـ . الدقة في وصف الرحلات، وحسن التشخيص، كوصفهم للمدينة المنورة ، والآثار القديمة، والمدن الكبيرة، وذكرهم جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية والسياسية وغيرها من المشاهد التي رأوها خلال رحلاتهم إلى تلك الديار المقدسة والإقامة فيها .

٢– الأساليب:

أما أساليب كتاب أدب الرحلات، وطرائقهم في إعدادها , فتتنوع في مجملها إلى النقاط الاتية :

أ . جزالة الألفاظ، وقوة التراكيب، واختيار المعاني والمفردات مما ينسجم مع سياق الوقائع التاريخية والمشاهد الملحوظة التي اعتمد عليها الرحالون في رحلاتهم ومدوناتهم غالبا وإن كانت أساليب بعضهم لا تخلو من الرقة في الألفاظ، والسهولة في المعاني تارة ،والتكلف في التصنيف وتحمل النفس وعصرها تارة أخرى

١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م ، ص 16 وما بعدها ، وسفر نامه لناصر خسرو ص 43 وما بعدها ،و الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية ص15 وما بعدها ، والمدينة المنورة في عيون أدباء شبه القارة الهندية ص 1 وما بعدها ، والآداب العربية في شبه القارة الهندية ص 200 203 .

ب . إيراد الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والشواهد الشعرية، واقتباسها، والاعتماد عليها، والاستدلال بها في مواضعها إن اقتضت الحاجة إليها، فالرحَّالون يرون في ذلك تأكيدا لكلامهم، وإقداما على أسفارهم ،ومصداقا لمشاهداتهم وكتاباتهم .

ج . خلو كتب الرحلات من الكلمات الغريبة، والألفاظ النادرة، والتراكيب الشاذة وإن وجد فيها أحيانا بعض المفردات الصعبة التي لا يستدل على معانيها إلا بالمعاجم العربية والاستعانة بها لفك رموزها، ومعرفة دلالتها.

د . وجود كلمات عجمية وغريبة، كأسماء المدن والأماكن والأقاليم والحيوانات والزهور والنباتات والأشجار والطبيعة وغيرها في كتب الرحلات، واستعمالها في سياق الجمل ، ونقل الأخبار، ومشاهدة الحقائق.

هـ . وحدة الموضوع في كتابة الرحلات، وترابط أجزائه في توثيق الموضوعات في الغالب وإن وجد من بين الرحالين, كأمثال ابن معصوم المدني صاحب رحلة ((سلوة الغريب وأسوة اللبيب)) الذي لم يستطع أن يكتب رحلته متجرداً عن التنميق والتكلف، بعيداً عن الاستطرادات والأوصاف فلا يكاد يبدأ في موضوع حتى يتركه دون إتمام يذكر، أو جمل تتَّحد أو فقرات تترابط.

و . تأثر كتب الرحلات المؤلفة بالعربية في شبه القارة الهندية بالتعبيرات الفارسية والأردية وأساليبها اللفظية والمعنوية، ولا غرابة في ذلك؛ إذ كانت الكتابة في تلك الأماكن باللغة الفارسية التي كانت تمثل لغة العلم والعلماء، وثقافة الدولة والسلاطين، ولسان القلم والفكر فمن الطبيعي أن يكون ثمة تأثر بعضها ببعض، ووجود أفكار جديدة في اللغة الدخيلة، وكلمات مولدة في قواعدها.

ز . وجود أسلوب الحوار في كتب الرحلات، والمشهد القصصي، وكثرة الوصف، والصور البلاغية في توصيف الأحداث والوقائع وتوظيفها في دلالة الجمل والتراكيب وسياق المفردات وترابطها مما يضيف إلى كتب الرحلات ذوقا في الأداء، وجمالا في العرض، وحلاوة في القراءة.

أبرز من كتب في أدب الرحلات ومؤلفاتهم فيها

ترك علماء شبه القارة الهندية عبر العصور المختلفة كتبا رائعة، وتراثا ضخما في أدب الرحلات وميادينه الواسعة بلغات متعددة كالعربية والفارسية والأردية وغيرها، وأخذت تلك المؤلفات مجدها في مراكز البحث، ودراسات الأدب، وتعددت مادتها لدى أدباء النثر، ورواد النقد، واستطاعوا بذلك أن يقدموا خدمة جليلة، وقضايا هامة للتاريخ الأدبي، والفكر الثقافي، وأن يعبروا عن أحاسيسهم وما يجول بخواطرهم وأفكارهم، وما شاهدوه من وقائع تاريخية وجغرافية وأدبية وغيرها من المشاهد التي وقفوا عليها خلال أسفارهم، وأن يجعلوها في قوالب فنية تساق باسم أدب الرحلات وبه \استطاع هذا الفن أن يستقطب أنظار الأدباء والباحثين في العالم العربي والإسلامي، ويحرك مشاعرهم نحوه, وكان من جملة من كتبوا في هذه الناحية الأدبية، وتركوا فيها مصنفات جميلة، وآثاراً بديعة المجموعة التالية بمؤلفاتهم، وإليك بيانها مفصلا باللغات الثلاث العربية والفارسية والأردية :

أولا– كتب الرحلات بالعربية:

1– الرحلة الهندية الى الجزيرة العربية , لرفيع الدين المرادي (ت1201هـ) :

هذه الرحلة الهندية إلى الأراضي الحجازية كتبها صاحبها في الأصل باللغة الفارسية بعنوان: ((مشاهدات حرمين شريفين، أو سوانح حرمين شريفين))، وهناك نسخة في مدينة ((رام بور)) بالهند عنوانها ((آداب الحرمين))، وكذلك ذكر صديق حسن خان القنوجي هذه الرحلة باسم: ((حالات الحرمين)).

وقد نقل هذه الرحلة إلى الأردية مولانا نسيم أحمد فريدي أمردهي، وجعل عنوانها: ((مشاهدات حرمين شريفين))، ورأى الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم[(14)] مترجم الرحلة السابقة بأن يكون عنوانها بالعربية ((الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية)) .

والمؤلف قد بدأ رحلته من مسقط رأسه ((مرادآباد)) سنة /١٢٠١هـ/ ،وعاد من رحلته سنة/ ١٢٠٣هـ/ بعد رحلة استغرقت– كما ذكر– سنتين وشهرين وأسبوعين، وصنفها في أخبار رحلته إلى الحرمين[(15)].

٢– سَلْوة الغريب وأُسْوة اللبيب, [16] للسيد علي خان الدستكي الشيرازي، المعروف بابن معصوم وأحيانا باسم: سيد علي خان، صدر الدين بن أحمد نظام (ت ١١١٧هـ).

وهذه الرحلة المسماة بـ : ((سلوة الغريب وأسوة اللبيب))[(17)] تحدث فيها مؤلفها عن رحلته من مكة إلى كولكنده في الهند مفصلا، وأعطى وصفا دقيقا عما شاهده من وقائع ومشاهدات وسطرها في ثلاث موضوعات تضمنت قضايا جغرافية، وتاريخية وأدبية.

والمؤلف قد خرج من مكة في السادس من شعبان عام / ١٠٦٦هـ/، وتمكن من تصنيف رحلته بعد ثلاث سنوات في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة/ ١٠٦٩هـ/[(18)].

---

[14]. وهو استاذ اللغات الشرقية وآدابها بجامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية في الرياض ـ السعودية .

[15]. ينظر : الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية ص 5.7، مقدمة المترجم ، والثقافة الإسلامية في الهند ص 77 ، المدينة المنورة في عيون أدباء شبه القارة الهندية، مقالة أعدها الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، ونشرها في موقع الشبكة العنكبوتية .vb /showthread /Php?=15196/ www.Ahbab-taiba.com.

[16]هكذا ورد اسمها في : الثقافة الإسلامية في الهند ص 77 ، وفي الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص 200 اسمها : سلوة الغريب وأسوة الأريب ، واكتفى السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني في كتابه نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام/ ، دار ابن حزم، بيروت.– ط١ .– ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، 764/6 بالجزء الأول فقال : له مصنفات عديدة أشهرها .. وسلوة الغريب في غرائب البحار وعجائب الجزائر.

[17]. هكذا ورد اسمها في : الثقافة الإسلامية في الهند ص 77 ، وفي الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص 200 اسمها : سلوة الغريب وأسوة الأريب ، واكتفى السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني في كتابه نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام/ ، دار ابن حزم، بيروت.– ط١ .– ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، 764/6 بالجزء الأول فقال : له مصنفات عديدة أشهرها .. وسلوة الغريب في غرائب البحار وعجائب الجزائر.

[18]. وللمزيدعن الرحلة السابقة ومحتواها ينظر : المصادر السابقة .

٣- رحلة الصديق إلى البيت العتيق, لصديق حسن بن أولاد حسن القنوجي (ت ١٣٢٦هـ)[19].

وقد طبعت بمطبعة العلوية بلكهنؤ في الهند عام ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م . . د ط . . .,./١٣٧٣هـ - ١٩٥٥م/[20]

٤- يواقيت الحرمين, لخواجه مُحَمَّد معصوم، ولم يكتبها بنفسه، بل كتبها خواجه مُحَمَّد عبد الله، والكتاب المذكور صنف أيضا في أدب الرحلات[21].

ثم ترجمه إلى الفارسية الشيخ مُحَمَّد شاكر بن مولانا بدر الدين السرهندي بعنوان: ((حسنات الح رمين)) ، وبعده ترجم تلك الرحلة سيد زرار حسين شاه النقشبندي ،وسماها : ((معصومية))[22].

وقد عبر الأديب السابق في رحلته المسماة ب ((قافلة الحجاز)) عن مشاعره اتجاه أرض الحرمين وأماكنهما المقدسة وحسه الرقيق الذي كان ينتاب إلى قلبه، ويستولي على قلمه وفكره, وقد طبعت تلك الرحلة في أول مرة سنة /١٣٧٣هـ - ١٩٥٥م/[23] .

٥- قافلة الحجاز , لماهر القادري.

وفيها عبر صاحبها عن مشاعره ازاء أرض الحرمين وما اختلج في صدره من مشاعر, واستولى على قلمه وفكره من خواطر , وقد طبعت تلك الرحلة أول مرة سنة /1373 هـ. 1955م / [24].

٦- من باكستان إلى ديار الحرمين, لنسيم الحجازي ، وقد كتب الأديب الروائي المذكور رحلته السابقة حينما قدم إلى المدينة المنورة سنة / ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م / وسطر ذكرياته في جريدة ((كوهستان)) التي كان يديرها، ثم نشرها بعد ذلك في كتابه المذكور[25].

٧- حكاية الجذب والشوق , أحمد ناصر.

وكان مما تحدث في رحلته السابقة عن النهضة التعليمية في المدينة المنورة، وقد صنفها في سنة/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م / ونشرها بالعنوان المذكور[26].

8- جمال الحرمين, لحافظ لدهياني.

---

[19]. ينظر : حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر/ للدكتور جميل أحمد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق. . د ط .- ١٩٧٧م ، ص280، والثقافة الإسلامية في الهند ص 77، وأبجد العلوم/ لصديق بن حسن القنوجي، إعداد الفهارس عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق . . د ط .- ١٩٨٧م، 1/ك ، مقدمة المحقق .

[20]. ينظر : المصدر السابق ص 14 .

[21]. ينظر : المدينة المنورة في عيون أدباء شبه القارة الهندية، مقالة أعدها الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، ص1, ونشرها في موقع الشبكة العنكبوتية /www.Ahbab-taiba.com / vb /showthread. Php?=15196.

[22]. ينظر : المصدر السابق .

[23]. ينظر : المصدر السابق ص 14 .

[24]. بنظر : المصدر السابق .

[25]. ينظر : المصدر السابق .

[26]. ينظر : المصدر السابق ص 18.

وقد ذكر في رحلته المذكورة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ورسالتها ودورها في نشر الإسلام وأداء رسالته إلى العالم؛ حيث زارها سنة /١٤١٠هـ- ١٩٨٩م/، وبعد تصنيفها قام بنشرها في العام نفسه[27].

٩- الطريق إلى المدينة, لأبي الحسن الندوي.

وقد طبع في طبعته الخامسة بلكهنؤ في الهند سنة/ ١٤٠٧هـ/[28].

١٠- سفر نامه , لناصر خسرو علوي، ترجمه الدكتور يحيى الخشاب، طبعته الهيئة العامة للكتاب في مصر سنة/ ١٩٩٣م/ .- ط ٢ .- .

ثانيا- كتب الرحلات بالفارسية:

١- مسافر نامه , للشيخ جلال الدين حسين بن أحمد الحسيني البخاري الآجي (ت ٧٨٥هـ) ، وهو الذي ساح الربع المسكون، كما قال عبد الحي الحسني[29].

٢- مسير طالبي , لأبي طالب بن محمَّد اللكنوي.

وقد صنفه سنة/ ١٢١٩هـ/ في رحلته إلى بلاد المغرب[30].

٣- زبدة الأخبار في سوانح الأسفار/ لعلي مرزا بن أبي طالب الدهلوي، صنفه سنة /١٢٤٩هـ/[31] .

٤ — ترغيب السالك إلى أحسن المسالك , للنواب مصطفى خان الدهلوي، وقد ألفه في أخبار رحلته إلى الحرمين[32].

٥- بركات الدارين لحجاج الحرمين , للشيخ أبي البركات بن فضل إمام البهاري[33].

٦- بركات الأنس لزائر القدس , للمؤلف السابق[34].

٧- كتاب الرحلة = الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية , للشيخ رفيع الدين المراد آبادي، صنفه سنة/ ١٢٠١هـ/ في أخبار رحلته إلى الحرمين، وقد سبق الحديث عنها[35].

٨- كتاب الرحلة, للنواب سالارجنك لائق علي خان الحيدر آبادي، وقد ألفه في أخبار رحلته إلى أوربا[36].

---

27. ينظر : المصدر السابق ص 19 .
28. ينظر : المصدر السابق ص 23 .
29. ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص 76.
30. ينظر : المصدر السابق .
31. ينظر : المصدر السابق .
32. ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص 76 .
33. ينظر : المصدر السابق .
34. ينظر : المصدر السابق .
35. ينظر : كتب الرحلات بالعربية ، والثقافة الإسلامية في الهند ص 77 .

٩- أرمُغان هندوستان , للسيد لطف علي المودودي صنفه في سنة /١٣١٠هـ/[37].

١٠- روزنامه , للمولوي عبد القادر بن مُحَّد أكرم الرمبوري[38].

١١- سير الهند وكلكشتدِكن , للمنشيء قادر خان البيدري، صنفه سنة/ ١٢٤٧هـ / [39].

١٢- روزنامجه , للشيخ مُحَّد عبد الوهاب بن مُحَّد غوث الشافعي المدراسي[40].

١٣- داستان جهان , للمولوي مُحَّد زمان الشاهجهانبوري[41].

١٤- فيوض الحرمين , لشاه ولي الله الدهلوي (ت 1176 هـ).

وقد صنف كتابه هذا عن رحلته إلى الحج سنة / ١١٤٠هـ/[42] .

١٥- جذب القلوب إلى ديار المحبوب , للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، وقد كتب رحلته عن زيارته للأماكن المقدسة عام / ٩٩٧هـ / بالعنوان السابق[43].

١٦- ترغيب السالك إلى أحسن الممالك , لنواب مُحَّد مصطفى خان شيفته شاعر الأردية والفارسية, وقد ترجم الكتاب السابق إلى الأردية فيما بعد[44].

١٧- رحلة حرمين شريفين , لسيد كاظم.

وقد كتب في رحلته السابقة مشاهداته للمدينة وأماكنها المقدسة[45].

١٨- صراط الحميد , لإلباس بَرني.

فقد سطر في رحلته السابقة ما شاهده من الآثار الإسلامية في المدينة المنورة[46].

١٩- سفر نامه حجاز ومصر , لنواب حاجي أحمد حسين خان، أمير منطقة حسن بور مراد آباد، وفي سنة / ١٣٢١هـ/ زار الجزيرة العربية ومصر[47].

---

36. ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص 77 .

37. ينظر : المصدر السابق .

38. ينظر : المصدر السابق.

39. ينظر : المصدر السابق .

40. ينظر : المصدر السابق .

41. ينظر : المصدر السابق .

42. ينظر : المدينة المنورة في عيون أدباء شبه القارة الهندية ص 1.

43. ينظر : المصدر السابق .

44. ينظر : المصدر السابق .

45. ينظر : المصدر السابق ص2.

46. ينظر : المصدر السابق .

47. ينظر : المصدر السابق ص 3 .

٢٠- سفر نامه حجاز, للقاضي محمد سليمان المنصوري بوري كان من كبار علماء الهند، وقد صنف رحلته بالعنوان السابق ونشرها عام/ ١٣٤٢هـ/[48].

٢١- سفر حجاز , لعبد الماجد الدريا آبادي.

وهو أديب وصحفي، وقد سافر سنة/ ١٣٤٩هـ/ لأداء فريضة الحج فسطر ذكرياته في رحلته السابقة ثم نشرها[49].

٢٢- سفر نامه أرض القرآن , لأبي الأعلى المودودي (ت 1979م).

وقد أقام في المدينة المنورة التي زارها سنة / ١٩٥٩م/ أسبوعاً تقريباً من/١٣- ١٩/، وجاءت ذكريات سفره للسعودية في كتابه السابق[50].

٢٣- سفر نامه حج , للحاج عليم الدين[51].

٢٤- رحلة ناصر خسرو, لناصر خسرو، وهي أول رحلة بالفارسية كُتبت خارج شبه القارة الهندية سنة/ ٤٣٧هـ/ ، وقد ترجمها الدكتور يحيى الخشاب إلى اللغة العربية[52].

ثالثا- كتب الرحلات بالأردية:

١- مسير حامدي, للنواب حامد علي خان الرامبوري, وقد صنفه في أخبار رحلته إلى أوربا[53].

٢- سفر نامه, للشيخ شبلي بن حبيب الله الأعظم كدهي, وقد كتبه في أخبار رحلته إلى مصر والشام القسطنطينية[54].

٣- سفر نامه, للخواجة حسن نظامي الدهلوي, ألفه في أخبار رحلته إلى مصر والشام[55].

٤- سفر نامه, لمرزا عرفان علي بيك , صنفه في أخبار رحلته إلى بلاد الحجاز[56].

٥- سفر نامه , للحافظ عبد الرحمن الأمرتسري, كتبه في أخبار رحلته إلى البلاد الإسلامية[57].

٦- مقام خلافة كتاب, للشيخ عبد القادر اللاهوري, وقد ألفه في أخبار رحلته إلى قسطنطينة[58].

---

48. ينظر : المصدر السابق ص 4.

49. ينظر : المصدر السابق ص 6.

50. ينظر : المصدر السابق ص 17.

51. ينظر : المصدر السابق.

52. ينظر :الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية ص 5، مقدمة المترجم.

53. ينظر : الثقافة الإسلامية في الهند ص 77 .

54. ينظر : المصدر السابق .

55. ينظر : المصدر السابق.

56. ينظر : المصدر السابق .

57. ينظر : المصدر السابق .

58. ينظر : المصدر السابق .

٧- سفر نامه, للشيخ يوسف خان كَمَّل بُوش, ويسمى أيضا : عجائبات فرنك[59] .

٨- سفر نامه, للمولوي محي الدين المِدْراسي, ألفه في أخبار رحلته إلى الحجاز[60].

٩- سفر نامه, للخواجة غلام الثقلين الباني بتي .ألفه في أخبار رحلته إلى بلاد العجم, وهو يقع في ثلاثة مجلدات[61].

١٠- سير سلطاني , لشاه با نُو بيكم. صنفه في أخبار رحلة النواب سلطان جهان بيكم ملكة بهوبال إلى بلاد المغرب[62].

١١- سير يورب, لعطية فيضي بيكم, وقد صنفه صاحبه في أخبار رحلتها إلى بلاد المغرب[63].

١٢- سير مِدْراس, للسيد تراب علي بن شجاعت علي الحيدر آبادي[64].

١٣- ياور حجاج, للشيخ مُحَمَّد آغا الحيدر آبادي[65].

١٤- كُلكشتِ فَرَنْك , للمولوي عزيز مرزا.

وهو في الأصل ألفه مؤلفه بالإنكليزية، وسماه: كتاب الرحلة , وخصَّصه في أخبار أوربا، ثم نقله المؤلف عزيز مرزا إلى أردو فسماه بالاسم السابق[66].

١٥- كتاب الرحلة إلى الحرمين والشام ومصر القاهرة, للمولوي عبد الرحيم خان بهادر[67].

١٦- سفر نامه, للخواجة حسن نظامي, صنفه في أخبار سياحته بالهند[68].

١٧- زاد الغريب, للنواب عمر علي خان صاحب باسورة وهو كتاب في الرحلة إلى بلاد الحجاز[69].

١٨- مدينة النبي بين الأمس واليوم, لخالد عباس الأسدي، وهو كتاب جميل كما وصف، صدر في لاهور بباكستان أواخر عام /١٣١٣هـ/ ،وبداية عام/ ١٩٩٣م / ، يتضمن الكتاب ذكريات المؤلف في المدينة المنورة[70].

---

59. ينظر : المصدر السابق .
60. ينظر : المصدر السابق.
61. ينظر : المصدر السابق .
62. ينظر : المصدر السابق .
63. ينظر : المصدر السابق .
64. ينظر : المصدر السابق .
65. ينظر : المصدر السابق .
66. ينظر : المصدر السابق .
67. ينظر : المصدر السابق .
68. ينظر : المصدر السابق .
69. ينظر : المصدر السابق .
70. ينظر : المدينة المنورة في عيون أدباء شبه القارة الهندية ص 21.

١٩- رحلة إلى الحج, لمحمد عمر خان.

فقد قدم إلى الحج سنة/ ١٢٩٧هـ/ , وهي مكتوبة بالأردية ويغلب عليها استخدام التعبيرات الفارسية[71] .

٢٠- رحلة مسعود الندوي, لمسعود عالم الندوي.

بدأ العلامة مسعود رحلته في سنة / ١٣٦٨هـ/ جمادى الآخرة إلى الحج، واستغرقت سبعة أشهر ونصف ولم يتضح لي لغة الكتابة , وأظن أنه صنفها باللغة الأردية[72]، لأن صاحب المقالة الآتية أوردها في قائمة الكتب الأردية مما يدل على الكتابة بها .

الخاتمة

تركت رحلة العلماء الرحالين ، والمفكرين الأدباء في شبه القارة الهندية وخارجها نتائج علمية، وآثارا رائعة في الأدب العربي وفنه النثري، واستطاعت أن تكتشف للبشرية والأدباء المثقفين في العالمين العربي والإسلامي الكنوز المخفية، والحقائق الغامضة عن التاريخ البشري والجغرافي والثقافي واللغوي التي طالما كانت بعيدة عن التصور الإنساني، ومجهولة عن الفكر اللغوي العربي، وبهذه المساهمة في أدب الرحلات، والكتابة في مسائله وموضوعاته، والقيام بالبحث في مادته وجوهره وتوثيق أحداثه ومشاهداته عبر العصور المختلفة بتلك البلاد ازدهر هذا الفن النثري، ونضج ثماره في ميدان الأدب، وكثر الإقبال عليه من أهل النقد والبحث، وتوسعت حدوده حتى امتد إلى الدول المجاورة , خاصة أن علماء الأقاليم والمدن كانوا أهل رحلة وأسفار كثيرة إلى أرض الحجاز، والبلدان العربية لأداء مناسك الحج والعمرة وإقامة الشعائر الدينية تارة، ولغرض التجارة والتعلم ونيل الإجازات العلمية في العلوم العقلية والنقلية تارة أخرى.

ونتيجة لهذا النشاط العلمي، والاهتمام البالغ بالرحلات والمصنفات فيها، واتخاذها فناً أدبياً، ومسلكاً رائعاً، ومصدراً هاما في إطار الدراسة الأدبية أن ظهر عدد كبير من الرحالين الأدباء في شبه القارة الهندية كأمثال ابن معصوم المدني، والمراد آبادي، وصديق القنوجي، وناصر خسرو، والشاه حجة الله الدهلوي، والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، والشيخ أبي البركات بن فضل إمام البهاري، وغيرهم كثيرون، فهؤلاء الرحالون كتبوا مصنفات عديدة في الرحلات باللغات المختلفة من العربية والفارسية والأردية، وسجلوا فيها ملاحظاتهم، ودونوا معلوماتهم عن الأحوال السياسية والاجتماعية والتاريخية والدينية والحضارية، وقدموا في تلك الرحلات مواد ثرة، وأفكارا واسعة مما شاهدوه وعاصروه مستمدين ذلك من الملاحظة المباشرة والمعاينة الشخصية لتلك الظروف في البلدان والقرى التي زاروها.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- الكتب:

١- أبجد العلوم, صديق بن حسن القنوجي، إعداد الفهارس عبد الجبار زكار،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق . — د ط .- 1978م.

71. ينظر : المصدر السابق ص 1.

72. ينظر : المدينة المنورة في عيون أدباء شبه القارة الهندية ص 9.

2ـ أدب الرحلة في التراث العربي, فؤاد قنديل ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة . . ط2 . . 1423هـ . 2002م.

3- الثقافة الإسلامية في الهند = معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف/ للسيد عبد الحي الحسني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر .- د ط . . ٢٠١٢م .

4- حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر, جميل أحمد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق. — د ط .- ١٩٧٧م.

5- رحلة الصديق إلى البيت العتيق , صديق حسن خان القنوجي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قطر . . ط ١ .- ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

6- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية , رفيع الدين المراد آبادي، ترجمة: الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة . - ط١ .- ٢٠٠٤هـ.

7- الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري , ناصر عبد الرزاق الموافي، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء ، القاهرة .- ط1 . . 1415هـ . 1995م.

8- سلوة الغريب وأسوة اللبيب = رحلة ابن معصوم المدني , علي صدر الدين المدني، المعروف بابن معصوم؛ تحقيق: شاكر هادي شكر، الدار العربية للموسوعات ، بيروت. - ط١.- ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

9- سفر نامه , ناصر خسرو علوي، ترجمة : يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب [القاهرة] .- ط ٢. — ١٩٩٣م .

10- لسان العرب/ لابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، دار صادر، بيروت. - ط ٣ .- ١٤١٤هـ .

11- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام, للسيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني، دار ابن حزم، بيروت.- ط١ .- ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

ثانياً – المجلات والدوريات ومواقع الشبكة العنكبوتية:

١- الرحلات في الأدب الإنكليزي، مقالة أعدها إنجيل بطرس ونشرها في مجلة الهلال، العدد ٧، السنة ٨٣،عام ١٩٧٥م، شهر يوليو.

2- الرحلة في التراث العربي الإسلامي ودورها في رفد المعرفة الجغرافية، مقالة أعدها: م.م. أزهر حسين رزوقي، ونشرها في مجلة سر من رأى، المجلد ٦، العدد ١٩، السنة السادسة، نيسان ٢٠١٠م .

3- مفهوم أدب الرحلة، مقالة نشرت بواسطة الطيب، ونشرت في موقع مدونة الفكر الحر في الشبكة العنكبوتية بتاريخ ٢٨/ مايو/ ٢٠١٣م ، .File:/// c:users/ wn7Desktop/ /

4- الرحلة وأدبها في اللغة العربية (دراسة تاريخية) ، مقالة أعدها الأستاذ مُحَمَّد رضي الرحمن القاسمي، ونشرها في مجلة الداعي الشهرية، وهي تصدر عن دار العلوم بديوبند في الهند، العدد ٦-٧ ، السنة ٣٧، سنة جمادى الثانية- رجب ١٤٣٤هـ - أبريل- يونيو٢٠١٣م (دراسات إسلامية).

5- المدينة المنورة في عيون أدباء شبه القارة الهندية، مقالة أعدها الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، ونشرها في موقع الشبكة العنكبوتية /www.Ahbab-taiba.com / vb /showthread. Php?=15196

ثالثا – الرسايل الجامعية :

1- إسهامات علماء شبه القارة في آداب السير والتاريخ والتراجم بالعربية , مُحَمَّد إرشاد ، وهي رسالة علمية نال بها صاحبها رسالة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، وقدمت إلى جامعة بنجاب، لاهور- باكستان عام ٢٠٠٦م (وهي غير منشورة).